التعليم في بلاد المغرب القديم

وفاء بوغرارة.

جامعة أحمد دراية –أدرار–

ملخص الدراسة:

يعالج هذا العمل تطور التعليم في بلاد المغرب القديم والتغيرات التي عرفها عبر مراحله المختلفة، خاصة فترة الاحتلال الروماني لأن روما اعتمدت على السياسية التعليمية لدمج الشعوب الخاضعة لها حيث كان التعليم من أهم الأعمال التي تشرف عليها إدارة بلديات المدن، كما يتناول الموضوع بالتحليل والدراسة درجات التعليم وأهم المواد المدرسة والمناهج المتبعة وأهم المدارس والمراكز التعليمية التي كانت تؤمن لتلاميذها ما نسميه اليوم التعليم الابتدائي والثانوي والعالي.

Addresses this work the development of education in the old country of Morocco and the changes that has

known through its various stages, especially the period of Roman occupation because Rome adopted on educational policy to incorporate under its control, where education was the most important business supervised by the municipal urban management peoples, also addresses the topic analysis and study education degrees The most important school materials and approaches and the most important schools and educational centers that she believed her pupils what we today call primary and secondary education and higher education.

مقدمة:

عرفت الدراسات التي تناولت تاريخ المغرب القديم اهتماما واسعا ومعمقا من قبل الباحثين، غير أن الجوانب الفكرية والثقافية لا تزال بكرا تحتاج إلى مزيدا من الدراسات الموثقة، وهناك حاجة ماسة إلى البحث لخوض هذا المجال المكمل للجوانب الاجتماعية الأخرى خاصة التعليم، لأن سكان بلاد المغرب عرفوا باهتمامهم به حيث كانت المدن المغربية تشتمل

على مدرسة أو مدارس تؤمن لتلاميذها مختلف مراحل التدريس، ولعبت دورا أساسياً في تكوين أبناء المنطقة، بدليل المبدعين المغاربة الذين ظهروا في العصر القديم، حيث ترك هؤلاء المثقفون الجهابذة، والعلماء الفحول، بصمات ثقافية جلية في مجال الشعر والخطابة والبلاغة ومختلف العلوم، وهذا ما جعل الجامعات المغربية تتبوأ مكانة متميزة يتوافد إليها الطلاب من مختلف المناطق، بل يمكن القول، بدون مبالغة بأنها كانت أيضا ذات بعد عالمي لأنها تستعمل مجموعة من القنوات التعبيرية، مثل: اللغة اليونانية، والبونيقية، واللاتينية.

إذا كيف كان وضع التعليم في بلاد المغرب القديم؟ وما مدى اهتمام سكان بلاد المغرب به؟ وما هي أهم مراحله والأساليب التربوية وطرقها في تنشئة الأفراد؟

وهل كان له بعد عالمي في تلك الفترة؟ هذه أسئلة سوف أحاول رصدها من خلال العناصر الآتية:

1) التعليم البدائي. 2) التعليم في قرطاجة.

3) التعليم الهليني في المغرب القديم. 4) مراحل التعليم أثناء الاحتلال الروماني.

أولا: التعليم البدائي:

اتسمت التربية في المجتمع المغربي البدائي بالتقليد والمحاكاة وكان جوهرها التدريب الآلي والتدريجي والمرحلي، إذ كان يقلد الناشئ عادات مجتمعه ونمط حياته تقليدا عبوديا خالصا، ونظراً لأن المتطلبات الحياتية كانت بسيطة فلم تكن هناك مدرسة تقوم بنقل التراث الثقافي للأجيال الصاعدة، وكان يقوم بالعملية التربوية أو التدريبية وعملية تكيف الأفراد مع البيئة، الوالدان والعائلة والأقارب وفي أواخر المرحلة البدائية كان يقوم بها الكاهن أو شيخ القبيلة[1]

.وبتطور الحياة وتعقدها أصبح من الصعب على الوالدين أو العائلة القيام بعملية التربية، ومن هنا نشأت مهنة جديدة هي مهنة المربين، وكانت العملية التربوية تتم في الساحات العامة أو أماكن العبادة إلى أن تطورت عملية التعليم ونشأت المدارس النظامية، وقد قلد المغاربة القدامى اليونان والرومان في نظام التعليم الذي تبنوه.

وهكذا اكتشفوا في بداية الأمر الريطوريقا[2] والدراسات الأدبية بشكل عام. حيث كانت مواد التدريس تنحصر في الأدب الإغريقي ونحو اللغة الإغريقية والريطوريقا والسفسطة والرسم والنحت والموسيقى والرقص، سواء

كان ذلك عند المغاربة أو الرومان، وكانت تلك المواد تعطى إما على شكل دروس خاصة بالمنازل أو على شكل دروس جماعية بأمكنة عامة.[3]

أتطرق هنا إلى وضع التعليم في قرطاجة لتوفر المرجعية التاريخية مقارنة ببلاد النوميد والمور، ولارتباطها بسكان المغرب القديم وبعض المؤسسات التعليمية كالمدارس والمعابد ودور الكتب التي كانت موجودة في تلك الفترة.)

1-المدارس:

لا تزال المعلومات الخبرية التي تناولت هذا المجال في قرطاجة ضئيلة لا تشفي غليل الباحثين والدارسين الناشئين لتغطية الإجابة عن الإشكالات المطروحة. إلا أن هناك نصوصاً قديمة تشير إلى متابعة الأسرة القرطاجية واهتمامها بتربية أبنائها، فقد استفاد حنبعل وإخوته من تربية متينة جمعت بين الأصالة القرطاجية والتفتح على حضارات البحر الأبيض المتوسط كالإغريقية والرومانية.

وقد أفلح أبوهم عبد ملقرت في اختيار المعلم الكفء لتعليمهم وتدريبهم عن مختلف الثقافات والفنون، حيث استفادت صفينيبة (صفنبعل بنت عزربعل بن جرسكن) من تعليم جيد يتضمن تثقيف الفكر وتحصيل المعارف، وتهذيب النفس وإرهاف المشاعر والوجدان عن طريق دراسة

الموسيقى، فكانت أديبة حسناء تجيد العزف والغناء، حتى أنها كانت تجذب الحكام والأمراء لما تمتعت به من موسيقى وفن الرقص.[4]

وهكذا ساهمت المدارس القرطاجية مساهة بارزة في تعليم أبناء الحكام والطبقة الثرية.

2)- المعابد:

ذكرت بعض المعابد القرطاجية كمؤسسة تعليمية ودينية، في النصوص الأدبية الكلاسيكية والوثائق المنقوشة، غير أن معرفتنا لها مازالت تحتاج إلى مادة خبرية تجيب عن مجالات الدراسة المطلوبة، وقد حاولت الإفادة بما تيسر لي من مرجعية أرى أنها في حاجة إلى بحث أوسع وأعمق مستقبلا. وبالمقابل فإن الآثار التي كشف عنها في التنقيبات، كانت قليلة العدد.[5]

كما أن التغيرات المناخية ووضع طبقات أبنية جديدة فوق القديمة تعود إلى فترة الحكم الروماني، جعلت الباحثين يفتقدون تلك المادة المعرفية عن الفترة السابقة للعهد الروماني، فظهرت دراسات اعتمدت على الفرضيات والتخمينات تفتقر للدقة المعرفية وغلبت عليها نزعة العمومية.[6]

وإذا أخذنا بعين الاعتبار الآثار القليلة التي وصلت إلى الباحثين في هذا المجال، فمن الصعب تصور جميع الأدوار والنشاطات التي كانت تقوم

بها المعابد، في مجالات الحياة الثقافية والاجتماعية في العهد القرطاجي، لذلك فإن المسعى سيكون أكثر مجازفة وخطورة أمام الباحثين، وعليهم التدبر والموضوعية واعتماد الفكر العلمي الدقيق والمنهجية الأكاديمية، عندما يحاولوا أن يعالجوا دور المعابد التعليمي.[7]

والواقع أن المشكلة تعود مرة أخرى وبشكل أساس للمصادر نفسها التي هي على الرغم من تنوعها وأهميتها لا تتضمن إلا تلميحات وشذرات يبقى تفسيرها في حدود الفرضيات والشحة المعرفية.

كما نجد ندرة في المعابد البونية التي لم يمكن إلا لبعضها أن تكون آثاره قابلة للدراسة وهي اثنا عشر معبداً منتشرة في العالم القرطاجي المتوسطي، إضافة إلى ذلك أنها من حيث الزمان والأسلوب متباعدة فيما بينها، بحيث يصعب أن نحددها في نظرة موحدة متماسكة.[8]

لكن يبدو أن المعابد قامت بنشاطات تربوية وتعليمية باستيعاب الأطفال وتعليمهم القراءة والكتابة وتلقينهم أسس التربية التي مازلنا نجهل عنها الكثير، فالنصوص التي تم العثور عليها في قرطاجة والمدن البونية الأخرى تختلف من حيث المضمون وقد صعب فك رموزها وفهمها، لكنها تعتبر دليلاً على انتشار القراءة والكتابة في المجتمع القرطاجي.

ومهما كان الأمر فيبدوا أن التربية في قرطاجة كانت تعتمد مبادئ أخلاقية منها: المسؤولية الذاتية والاتكال على النفس والابتعاد عن الرذيلة وعن كل سلوك مشين.[9]

وهكذا رغم شحة المادة الخبرية فإنني قد حاولت إعطاء صورة حسب ما توفر من معلومات حول دور المعابد في التعليم خاصة وفي المجال الثقافي عموما عند القرطاجيين.

3)- دور الكتب في قرطاج:

ذكر المؤرخون القدامى دور الكتب القرطاجية والتي أطلق عليها أبلينيوس الأكبر ببليوتيقا وهو لفظ يعني دار الكتب. وقد أضاف قائلاً: " **لما كان غزو قرطاج قرر مجلس الشيوخ الروماني توزيع ما في دور كتبها على ملوك أفريقية** "[10]

كما أثبت الكاتب الأفريقي أبولي مادور وجود دار الكتب في قرطاج الرومانية على ربوة بيؤصة قرب معبد أمنقولبيوس وهو إله الطب عند الرومان، وكان المعبد المشار إليه متربعا على قمة الربوة مشرفا على البحر.ويبدو أن هذه الدور كانت منتشرة في نواحي مختلفة من بلاد قرطاجة، كما كان للمعابد مكتباتها ولها مخازن للوثائق والمحفوظات،

ومعلوم أنها كانت تأوي بعض المجالس والهيئات السياسية التي تجتمع فيها، فيستفيد أعضاؤها من وثائق مكتباتها.[11]

إن دار الكتب في قرطاجة، مهما تعددت مواقعها وتنوعت محتوياتها، إلا أنها تستجيب لحاجة الكهنة والأطباء والأدباء والمؤرخين وغيرهم مما يسعون وراء الغذاء الثقافي والأدبي أو التقني من صناعة وتجارة وفلاحة. وقد وجدت في الكتب البونية جوابا لكل من يريد التعرف على قرطاجة، فبما أنهم من أهل الحرف والعلم لا عجب أن تراهم يسجلون مختلف أوجه حياتهم ويعبرون كتابة عن أفكارهم وعواطفهم وهواجسهم على كسرات الفخار والعاج والعظم والأخشاب والمعادن فضلا عن الحجارة والجلود والبردي.[12]

جاء في كتب القدماء من إغريق ورومان، أن نصوصاً كانت تعلق في المعابد ويقبل الناس على قراءتهما والاستمتاع بها،[13] ولكنها اندثرت بسبب الحريق الذي كان سنة 196 ق.م

ولم يبق من تلك الرسائل والوثائق البونية على اختلافها وتعدادها إلا دمغات تحملها أقراص من فخار زادها الحريق صلابة وصموداً أمام الزمن، وقد أورد إبلوتركوس وثائق بونية نجت من الحريق لأنها كانت مقبورة في مناطق بعيدة عن الخطر، وأغلب هذه الأقراص محفوظة في

مخازن المتحف القومي بقرطاجة.[14]ومن خلال النقائش التي تم العثور عليها يثبت مدى انتشار القراءة والكتابة في المجتمع القرطاجي. ومن الآثار ما تم العثور عليه في ضواحي مدينة قالمة بالقطر الجزائري نقيشة بونية سطرت بالحرف النسخي،[15] قرأها ونقلها إلى الفرنسية (جامس جرمان فيفري) بما معناه " **قف أيها المار واقرأ** ". واستنادا إلى هذه النقيشة رأى العالم الفرنسي أن التعليم كان منتشرا في المدن والأرياف البونية،[16]

وقد تبنى هذا الرأي آخرون نذكر منهم: بيارسنتاس (Biyarsantas) وقد كتب: **" إنه من الخطأ الفادح تصور الكتابة وقفا على كبار القوم وعلى الساطرين في دور الكتب أو على الكهنة في المعابد فالخربشات العديدة التي تحملها كسرات من فخار عثر عليها بين صخور جزيرة مجادورة تثبت أن المغامرين والصيادين الذين ترددوا على تلك البقاع بعيدا عن العواصم كانوا يقبلون على الكتابة. ففي كل مكان وحتى في أقصى الأرياف تجد من كان يسطر بالمرشق اسما أو بدايته على جنب آنية أو على قعرها."**[17]

من خلال هذا الرأي، يبدو أن التعليم قد احتل مكانة هامة داخل المجتمع القرطاجي، حيث القراءة والكتابة لم تكن مقتصرة على كبار القوم وأبناءهم، بل عمت حتى الصيادين والحرفيين والفئات الضعيفة من الشعب.

ثالثا: التعليم الهليني في المغرب القديم:

عرف التعليم في بلاد المغرب القديم بالتعليم الهليني، وقد تأثر بنموذج قورينة[18] (cyrénaique) التي أسسها الفيلسوف أريسطيفوس (Arristippus)[19]، فكان يقصدها الطلاب من مختلف مناطق المغرب القديم،[20] حيث ازدهر التبادل الثقافي بين قورينة وأثينا من جهة وبينها وبين الإسكندرية من جهة أخرى منذ القرن الثالث ق.م.

ومن هناك تسربت المؤثرات الهيلينستية إلى المغرب القديم خاصة بعد زوال الطوق القرطاجي على المملكة النوميدية في عهد ماسينيسا (238-184 ق،م).[21]

لذلك ارتكز تجاه التعليم نحو إبراز الثقافة اليونانية العريقة وفقا لما جاء في دستور بطليموس الذي حددت بعض مواده درجات التعليم على النحو الآتي:

1)- التعليم الأولي:

ظهر التعليم الابتدائي في روما وبلاد المغرب (قورينة) في وقت واحد تقريبا أي خلال القرن السادس ق.م وكان له معلم متخصص (Primus Magister) ويمتد على خمس سنوات يتعلم فيها التلميذ القراءة والكتابة والحساب،[22] ويدرس أشعار هوميروس يتبعها المعلم بأسئلة، ويصاحبها تدريب أولي للتلميذ على استخدام القوس وركوب الخيل.[23]

وربما دفعني هذا إلى الاعتقاد بوجود شبه بين هذا النمط من التعليم والتعليم اليوناني، حيث وجدت البلابستير لتدريب الأولاد الصغار على المصارعة تحت إشراف مدرب، وربما كان التدريب على استخدام الأسلحة وركوب الخيل شبيها بما كان يحدث في الفترة الرومانية، حيث كان يعد ذلك إعداد أوليا للحياة العسكرية.[24]

2)- التعليم المتخصص:

كان يدرس في التعليم المتخصص الشباب الأكبر سنا، ويجمع بين الأخذ بآداب السلوك ومبادئ اللغة والكتابة، حيث يتم تلقين فن الحديث، والفن الأدبي هذا الأخير الذي تميز به المدني عن الريفي، علاوة على تعلمه قواعد الإملاء والاستظهار، وبعض المناهج البسيطة في الحساب

والجغرافيا والخطابة وفي المجال البدني كان الشباب يتلقى فنون استخدام السلاح والفنون القتالية.[25]

3)- التعليم العالي:

عرفت قورينة أو المدن الخمس (pentapoles) التعليم العالي قبل روما أي القرن الأول ق.م وكانت الريطوريقا (Rhétorique) أهم الموارد المدَّرسة لأنها من المواد الضرورية في الوظائف السياسية والقضائية.[26]

ويقوم بالتدريس في التعليم العالي الأستاذ الريطوريقي (أو الخطيب) وتشمل مواد خطابية أهمها الريطوريقا، ومواد فلسفية موزعة على ثلاث تخصصات: الأخلاق[27] والطب[28] والمنطق[29]

وعلى مادتي الجغرافيا والتاريخ، لكن التعليم العالي القديم كان يعادل بالنسبة لكثير من الطلبة المغربيين دراسة الريطوريقا فقط. التي كانت تعتمد في المسائل القضائية والسياسية والبيانية، يقدم فيها الأستاذ الجامعي: أولا دروسا نظرية حسب ما ورد في مؤلفات أرسطو وكيكرو (Ciceron)[30]، ثم يعرض نماذج خطابية تنسب لكتاب كبار، وأخيراً يتمرن الطالب على التطبيق إما في المرافعات القضائية أو في مواقف سياسية أو بيانية.[31]

أما الفلسفة في التعليم العالي، فقد كانت تعلم داخل المدارس أو على شكل دروس حرة من طرف أساتذة مستقلين، كما أن هناك أساتذة متجولين. يبدأ الطالب بدراسة مسائل عامة حول تاريخ الفلسفة، ثم بعد ذلك يتفرغ لدراسة فلسفة المدرسة التي ينتمي إليها وغالبا ما يحتوي المقرر الدراسي على ثلاثة نماذج نظرية: نموذج في مبادئ المعرفة (المنطق) ونموذج حول العالم (الفيزياء والجغرافيا) ونموذج في علم الأخلاق وهذا التقسيم عرفه اليونان منذ التلامذة الأوائل لأفلاطون وبقي نفس التقليد حتى نهاية العصر القديم(القرن السادس ميلادي)، وكانت كل المواد الفلسفية تُعطى باللغة اليونانية.[32]

والحقيقة لقد برزت قورينة كمركز ثقافي وعلمي متميز يفد إليه الطلبة من مختلف الجهات بما في ذلك بلاد الإغريق ذاتها والإسكندرية، كما يفد إليها الأساتذة المتميزين أمثال:

أفلاطون الذي زار المدينة لمقابلة الرياضي الأفريقي الشهير ثيودوروس (Théodoros) كما ذكر هو ذاته في محاورة (Theaetetus).[33] وقد نشأت في قورينا مدارس علمية وفلسفية يمكن أن نحصرها في اثنتين أساسيتين:

أ) **المدرسة الأولى:** هي التي تسمى المدرسة الفلسفية القورينية وقد تأسست على يد الفيلسوف القوريني أريسطيفوس (Arristippus) (435 ق.م _356ق.م) وازدهرت بين سنتي (من سنة 400 ق.م إلى سنة 250 ق.م) تقوم الفلسفة القورينية أساسا على فكرتين. جاءت الأولى من سقراط والثانية من السفسطائي بروتاغوراس.[34]

تقول الفكرة السقراطية إن السعادة هي الخير الأسمى وهي سيادة اللذة، وتتعلق الفكرة البروتاغورسية بنسبية المعرفة. تزعم المدرسة أن الشيء قد يبدو حقيقيا فقط، غير أننا لا نعرف شيئا عن الشيء نفسه أو في حد ذاته.

ومن هنا خلص فلاسفة هذه المدرسة إلى فكرة أن الإنسان لا يستطيع معرفة أي شيء إلا عن طريق الحواس أو الحس أو بالأحرى، عن طريق الانطباعات التي يتركها ذلك الشيء على عقل الإنسان. أضافت المدرسة القورينية فكرة سقراط السابقة، وخلصت إلى إمكانية تحقيق السعادة بفضل إنتاج أحاسيس، ومشاعر تتسم بالسرور واللذة.

طورت هذه المدرسة فلسفة أصلية أساسها مبدأ البحث عن اللذة وتجنب الألم: أي ما يسمى اليوم بالمذهب اللذاني (Hédonisme) ، وهو مذهب أخلاقي يقوم على القول بأن اللذة الحسية هي الخير الأسمى وأن السعادة

تكمن في الشعور المباشر باللذة الحسية، وقد طور هذه التعاليم مؤسس المدرسة نفسه، أي أريسطيفوس (Arristippus)[35] وابنته أريتي (Aêté)[36] ثم حفيذه أرسطيفوس الشاب. وقد استفاد من هذا التوجه القوريني المتأخرون من الفلاسفة الأبيقوريين.[37]

ومن رواد المدرسة القورينية أيضا الفيلسوف هيجيسياس (Hegesias) الذي ظهر في (القرن الرابع ق.م) والفيلسوف أنيسيريس (Annicris) الذي عاش (القرنين الرابع والثالث ق.م) والفيلسوف كاليماخوس[38] (Callimachos) والفيلسوف كارنياديس[39] (Carneades) والفيلسوف أركيسيلاوس[40] (Arkislaos) ويعتبر هذا الأخير مؤسس ما يسمى[41] بالأكاديمية الجديدة التي دافعت عن التوجه الاحتمالي والمذهب الشكاني[42] في المعرفة.

ب) **المدرسة الثانية :** هي المدرسة العلمية القورينية الممثّلة لتوجه فكري مغاربي قديم اهتم على الخصوص بالرياضيات، ونقتصر هنا على رائدين أثنين من رواد المدرسة المغاربية القديمة هما: إراطوستنيس (Erathostenes) القوريبني، وثيودوروس (Theodorus) الذي أزداد بقورينا (456–398 ق،م) ثم رحل إلى أثينا وتتلمذ على يد بروتاكوراس، وكان أستاذ لأفلاطون في الرياضيات وأستاذ لتياتيتوس (Theaetetus)

الذي اتخذ أفلاطون اسمه كعنوان لإحدى محاوراته، تلك التي يتحدث فيها عن تيودوروس[43].

لقد كان أفلاطون يزور قورينه من حين لآخر قصد التذاكر مع ثيودوروس في مسائل رياضية، وكان هذا الأخير نفسه يزور أثينا في الوقت الذي كان فيه سقراط حيا خلال القرن الخامس ق.م

ولكن مع الأسف الشديد، لم يصلنا أي مكتوب لثيودوروس، بل كل ما نعرفه عنه هو ما قدمه أفلاطون في محاورة (Theaetetus) أما أعماله الرياضية، فقد تمثلت على الخصوص في تطويره لنظرية الأعداد الصماء (irrationnels).

أما إراطوستينيس (Erathostenes) (276–194 ق.م) فقد كان هو الآخر رياضيا مغربيا شهيراً. ازداد بقورينة، وتتلمذ على يد ليزانياس (Lysanias) القوريني و الفيلسوف الرواقي أريسطون (Ariston). درس دراسته الأولى بقورينة، ثم انتقل إلى عاصمة العالم القديم: أثينا.

وقد كان هذا العالم متضلعاً في علوم عصره خاصة الرياضيات، فهو أول من قاس محيط الكرة الأرضية قياسا دقيقا بالنسبة لعصره، حيث كتب في هذا الموضوع رسالة تحت عنوان: (في قياس الأرض)، لكنها ضاعت، غير أن محتواها العلمي وصل عن طريق مؤرخين وجغرافيين قدامى مثل

سترابون[44] (Strabon) (58 ق.م–25م). قاس إراطوستينيوس أيضا المسافة بين الأرض والشمس وبين الأرض والقمر، ووضع يومية تأخذ بعين الاعتبار السنوات الكبيسة وضبط قائمة بأسماء نجوم تحتوي على 675 نجماً.[45]

رابعا: مراحل التعليم أثناء الاحتلال الروماني:

يعتبر التعليم من أهم الأعمال التي كانت تشرف عليها إدارة بلديات المدن في العهد الروماني، حيث كان يتم انتداب المعلمين الذين يقومون بالتدريس وتدفع لهم البلدية أجورهم.[46]

إلا أن هذا كان حكراً على الفئات الاجتماعية الحضرية المترومنة الغنية منها والمتوسطة.

على الرغم من أن روما، تركت المجال التعليمي لإدارة البلديات، إلا أنها كانت تشع تدريس اللاتينية وآدابها في المغرب القديم، لما لذلك من دور فعال في ربط المتعلمين بالحضارة الرومانية، فتظهر فئة أكثر تعليما وأقل بربرية وسهلة الانقياد، وفتح المجال لتلك النخب للمشاركة في الحياة المدنية، وممارسة التدريس وإلقاء الخطب العامة والمشاركة في الأنشطة البلدية.[47]

ولقد أشارت النقوش التي عثر عليها منذ عهد أغسطس- وهي نقوش لاتينية وبونيقية- إلى شخصيات من الأثرياء ساهمت في عملية إقامة منشآت عامة ثقافية ودينية واقتصادية وتذكارية، عرفت مع الاحتلال الروماني، وظهورها في تلك الفترة المبكرة يدل على ازدهار الثقافة البونيقية، إذ لا يمكن كتابة النقوش باللغة والكتابة البونيقية واللاتينية، إن لم توجد فئة متعلمة، ولا توجد فئة متعلمة بدون مدارس، كما أن هذه النقوش تدل على المكانة الاقتصادية والاجتماعية التي كان يتمتع بها المتعلم في العصر البونيقي وفي فترة الاحتلال الروماني، ومن هذه النقوش نقش رأس الحداجة عثر عليه بمنطقة نرهونة، ونقوش وداي العامور.[48]

ورغم ذلك فإن التعليم في العهد الروماني لم يكن مشتملا على درجات واضحة، غير أنه كان هناك تدرج في التمارين حسب سن الطفل، ومقدرته ومعلوماته ومن هنا يمكن تقسيم التعليم حسب المراحل الآتية:

1) التعليم الابتدائي:

2) كان على التلاميذ الأفريقيين أن يترددوا كالرومان واليونان على درس المعلم الأول أو اللّيتيراتوُر[49] (magister ludi- primus magister litterator-) الذي يلقنه القراءة والكتابة ومبادئ علم

الحساب مستعملاً قلما من القصب ولوحاً من خشب، أو سنانا للنقش على لوحة من الشمع.

3) أما نظام المدرسة، فقد كان قاسيا إلى درجة تنفر التلاميذ منها، إذ استعملت العصا والجلد لعقاب المذنبين، وضعاف الاهتمام بدروسهم، وقد عبر عن ذلك القديس أوغسطين حينما تحدث عن المراحل الأولى لدراسته حيث يقول: **"من الذي لايروعه أن تُعاد له طفولته ولا يؤْثر الموت إذ هو أتيح له أن يحيا حياته من جديد"** ويقول: **" وكان كبار القوم يعدون أسلوب الضرب في التربية أسلوبا ممتازا. وكم ممن سبقونا ، نهجوا لنا نهجا وفرضوه علينا فوفروا لبني آدم تعبا كثيرا وألما أكثر."**[50] ولكن رغم ذلك فإن المعلم في كثير من الأحيان لم يكن محترماً لشخصه، ذلك لأن التلاميذ كانوا يشعرون أنه ينتمي لطبقة دون طبقتهم.[51]

4) التعليم الثانوي:

كانت أولى البدايات الحقيقة للتعليم الثانوي في المغرب القديم منذ القرن الأول ق.م (الفترة الرومانية) وكانت اللغة الإغريقية تحتل المكانة الأولى في البدايات ثم أخذت مكانة اللغة اللاتينية تزداد لأنها مدعومة من الدولة الرومانية،[52] التي أرادت طمس باقي الثقافات واللغات الأخرى في إطار سياسة الرومنة ورومنة الأجيال الصاعدة في مستعمراتها المغاربية وحتى المشرقية في مصر وبلاد الشام.

يتعلم تلاميذ المرحلة الثانوية على يد القَّرمَّاتيقوس (grammaticus) قواعد اللّغة اللاّتينية وصرفها، ويحفظ أمهات الكتب مثل شعر فيرجيليوس[53] (Virgilius) ونثر قيقيرو (Cicero)، ويتلقّى دروسا في اللغة الإغريقية ومبادئ الموسيقى والعروض والفلسفة والرياضيات والفلك.[54]

ومما امتاز به الأساتذة الأفارقة اهتمامهم بالبلاغة، وبحثهم عن الأساليب والتعابير اللغوية القديمة، وعن القدامى من الشعراء اللاّتين أمثال: أنيوُس (Ennius). حيث يوجد في الشعر المكتوب على النقائش الأفريقية ما يدل على هذا الاعتبار وهذه العناية بالصيغة واللّفظ، والإهمال أحيانا للمعنى والمحتوى. لكن الفضل قد يعود إلى هؤلاء الأساتذة لإسهامهم في اختراع بوادر الخط "النّسخي" القديم الذي عوض حروف "التاج" (Lettres capitales) وأدى إلى الاستغناء عن لف ورق الكتاب القديم (Volumen) واستبداله بصفحات الكتاب الحديث (codesc) الذي رسخ رواجه في نهاية العهد القديم.

وقد كشفت الحفريات في مدينتي مقتَارِيس (مكثر) وتموقادي (تمقاد) عن نقائش دلت على التدرج نحو بروز الخط النسخي.[55]

إن هذا التعليم كان مملا للطلبة، ولقد عبِّر عن ذلك القديس أغسطينوس حيث كان يتذمر بمرارة لما يشعر به من ملل عند دراسته مغامرات انياس، وديدوني، ويستحضر تقزز زملائه من أبيات هوميروس وفيرجيليوس التي تحفظ من قبل التلاميذ قسرا.[56]

- أهم مراكز التعليم الثانوي:

1)- تيبيسا (Tébessa, Theveste): مدينة مغربية قديمة تقع بالشمال الشرقي -للجزائر الحالية -، على بعد 235 كلم جنوب عنَّابة. استولى عليها القرطاجيون سنة 247 ق.م، خلال الحرب البونيقية الأولى بين قرطاج وروما، ويفسر المؤرخون ارتفاع نسبة سكان المدينة بغناها وثراها معتمدين على ما ذكره المؤرخون القدامى مثل: ديودور الصقلي.[57]

هذا الأخير الذي يخبرنا بأنها كانت أكبر مدينة مغربية تسمى هيكاتومبيلوس[58]، استولى عليها حانون القرطاجي، واستمرت تحت الوجود القرطاجي أكثر من نصف قرن بعد ذلك.[59]

وصارت قلعة رومانية ابتداء من 146 ق.م بعد سقوط قرطاجة. كانت بها مدراس مشهورة في عهد الرومان.[60]

2)- كيرتا (Cirta, Kirta): نجهل حتى الآن التاريخ الدقيق لتأسيس مدينة كيرتا(سيرتا)، ولعل ذلك راجع لكونها لم تؤسس من العدم، فهي تطورت من مركز استقرار بشري في ما قبل التاريخ إلى مدينة هامة في العصور التاريخية، غير أن أهميتها كمدينة نوميدية ظهرت ابتداء من القرن الثالث ق.م لما كانت عاصمة للملوك النوميد الماسيليين. حيث ظهر بها العديد من العلماء المتميزين منهم فرنتون السيرتي.[61]

3)- هيبوريكيوس (Hipoo Regius): مدينة نوميدية قديمة أستوطنها في البداية الفينيقيون، ثم أصبحت مستعمرة رومانية وازدهرت حتى عام 430م، حيث اجتاحها الوندال.

تسمى الآن عنابة تقع بالشرق الجزائري.وقد زاول بها القديس أوغسطينوس نشاطه الديني والفكري، وفيها تم عقد ثلاثة مؤتمرات سنوات(393،395،429م) ونشطت بها دراسة الفنون حتى المستوى الثانوي.[62] وهكذا كانت إحدى المراكز الثقافية والعلمية بالمغرب القديم.

4)- تاكاست (Thagaste): مدينة نوميدية قديمة لكن معلوماتنا عن تاريخها شحيحة. اشتهرت بكونها مسقط رأس القديس أوغسطينوس. تسمى الآن سوق أهراس تقع بالشرق الجزائري. ومن المعروف أن أوغسطينوس درس ودّرس بها.[63]

5)- سيكافنيريا (Sicca Veneria): مدينة نوميدية قديمة، تقع على الطريق الرابط بين قرطاج وهيبون. اشتهرت بهذا الاسم منذ القرن الرابع ق.م، أخذت اسمها من معبد مشهور لإلهة الحب والجمال فينوس (Venus).[64] درس بها أرنوبيوس الأكبر (Arnobius)[65] في عقد الإمبراطور ديوقليتيانوس. وهي الآن تنتمي إلى الدولة التونسية.[66]

6)- مادور (Madoure): مدينة نوميدية قديمة، أصبحت مستوطنة رومانية حوالي نهاية القرن الأول الميلادي.

كانت مدينة للعلم والفلاسفة والأدباء، معروفة بازدهارها الثقافي، وتعد مدرسة ذات صيت واسع أنجبت مفكرين كبار أشهرهم الفيلسوف النوميدي أبوليوس المادوري، والقديس أوغسطينوس، ومسقط رأس علماء آخرين أمثال: النحويين ماكسيموس (Maximus) ونونيوس(Nonius) .

أضف إلى ذلك أن القديس أوغسطينوس درس بها. يمكن الآن رؤية أطلال مادور قرب مدينة مداوروش بالجزائر الحالية.[67]

7)- أويا (Oea): مدينة نوميدية لوبية قديمة تحمل أسم طرابلس الغرب اليوم -عاصمة ليبيا الحالية- حكمها الرومان من سنة 146 حتى 450م. تعتبر مركزا ثقافياً هاما، حيث كانت ملتقى طلبة تريبوليتانيا (Tripolitania)[68] بشكل عام.

وبها درس الفيلسوق أبوليوس المادوري لمدة ثلاث سنوات لما كان في طريقه إلى الإسكندرية.[69]

8)- سبراتا (Sebratha): مدينة نوميدية قديمة من أهم مدن تريبوليتانيا القديمة. ويبدو أن الفينيقيين هم الذين أسسوها كمحطة تجارية وذلك خلال القرن الرابع ق.م، وبعد سقوط قرطاج عام 146 ق.م، تمتعت سبراتا بفترة

قليلة من الاستقلال قبل أن تدخل تحت سلطة الرومان. وعندئذ تمتعت المدينة بازدهار ثقافي متنوع لشتى العلوم والفنون.[70]

9)- لبتس ماكنا(leptis Magna): تعد هذه المدنية مركزا تجاريا هاماً بين البحر الأبيض المتوسط وإفريقيا السوداء، أصبحت مستوطنة رومانية عام 96م، اكتسبت أهمية معتبرة بعد أن أصبح أحد أبنائها على رأس الإمبراطورية الرومانية[71] وهو الإمبراطور سبتيموس سيفيروس (193-211م)[72].

كانت لبتس مركزاً ثقافيا هاما يقصده طلبة العلم من جميع أنحاء تريبوليتانيا القديمة، إلى جانب مدينتي سبراتا وأويا، لقد كانت تقع على الطريق الرسمي بين قرطاج والإسكندرية، وهو طريق كثيرا ما يستعمله الطلبة والعلماء للتنقل بين مراكز العلم ببلاد المغرب القديم، خاصة بين الإسكندرية وقورينة وقرطاج وكايصاريا مما أعطاها مكانة متميزة ذات أهمية بليغة.[73]

10)- مدن غرب موريتانيا: مثل: مدينة سلا (Sala) وبناسا (Banasa) ومدينة فولوبيليس هذه الأخيرة كانت تعتبر العاصمة الملكية الثانية ليوبا الثاني.[74]

وكانت كل مدينة من هذه المدن تشجع أبناءها على التعليم، وتحثهم عليه بجميع الوسائل وتقيم الاحتفالات لتمجيد الناجحين منهم الذين أصبحوا من المفكرين البارزين ومن فطاحل علماء البيان ببلاد المغرب القديم، وكانوا ينتدبونهم لمراتب الشرف ويقيمون لهم التماثيل ويسجلون ما أحرزوا عليه من نجاح مدرسي وفوز أدبي.[75]

التحق بهذه المدارس أبناء الطبقة المتوسطة، أما أبناء الأثرياء فكانوا يتلقون تعليمهم في منازلهم عن طريق معلمين خاصين بهم، في حين يبقى سكان الأرياف محرومون من مستويات المراحل العليا من التعليم وقد يحضون بالمبادئ الدنيا منه.[76]

وهكذا نلاحظ من خلال ما سبق أن المدن الحضرية الكبرى شهدت انتشارا للمدارس بمختلف أطوارها، وتتضاءل في المدن الصغرى وتنعدم في المناطق الريفية، ما يوحي أن فرص الدراسة لم تكن متاحة للكل، إذا ما قارنا ذلك بين مختلف الطبقات والفئات الاجتماعية.

فالطبقات الأرستقراطية والثرية من أعيان المجتمع والمالكين والطبقة المتوسطة، كانوا يعتمدون على إمكانياتهم الذاتية في تدريس أبنائهم، بينما كانت الطبقات الدنيا أقل حظا في ذلك إلا القليل النادر.

5) **التعليم العالي:** عندما يبلغ الطالب الذكي أو الثري السابعة عشرة من عمره، يقصد المدن الكبرى لمواصلة التعليم العالي. وكانت البلديات تحرص على جلب أشهر الأساتذة إلى مدارسها التي يمكن أن نسميها في أيامنا هذه الجامعة.[77]

وهذه المرحلة الأخيرة من مراحل التعليم كانت موكلة إلى الرِيتور (rhetor) الذي كان يلقّن الفصاحة وفنّ الخطابة، استشهادا بالنّصوص الأدبية البليغة ومن الخطب الشهيرة. وقد تشمل دروسه على مواد الآداب والتّاريخ والفلسفة والعلوم.وكان كثيراً ما ينتقل الطلبة الميسوري الحال من سائر المدن الأفريقية إلى قرطاج عاصمة الولاية،[78] التي أصبحت منذ القرن الأول بعد الميلاد مركزا ثقافياً متطورا ومقصود من كل أنحاء المغرب القديم وفي هذا السياق يذكر أبوليوس المادوري: **" إنّك لاترى في قرطاج إلا نخبة المثقفين الضليعين في مختلف العلوم: طلبة يدرسون وشباب يتباهون بعلومهم وشيوخ يدَّرسون...إن قرطاج مدرسة معتبرة في منطقتنا، إنّها هدية السماء للأفريقيين".**[79]

وهذا يوفينال[80] (Juvénal) عالم من القرن الأول الميلادي ينصح خطيبا وُلد في روُما بالذهاب إلى الضفة الأخرى للمتوسط (أفريقيا) بحثاً عن حظ أوفر قائلاُ له: **" إن أفريقيا هي الأرض التي أنبتت المحامين والفصحاء..."**[81]

وحسب قول شارل أندري جوليان: **" إنها المدرسة المقدسة في المنطقة، وهي عروس الشعر في أفريقية، وهي أخيرا ملهمة الطبقة التي تلبس الحلة."**[82]

كان التعليم العالي في قرطاج له شهرة عالمية في العصر القديم، وكان يتم تلقين مختلف العلوم: الفلسفة، الحقوق، الطبّ، الرياضيات، علوم الطبيعة، الفنون الجميلة وخاصة البلاغة، حيث يتتلمذ الطالب على يد أشهر المدرسين، ويستمتع في المسرح بمحاضرات الأدباء والمسرحيات والمناظرات الأدبية، وفي المسرح المغطى (Odeum) بعروض الموسيقى والغناء والرقص.

أما لغات التدريس بمركز قرطاج القديمة هي: اللاتينية واليونانية، حيث كانت الكثير من المواد العلمية المدروسة بالتعليم العالي تعطى بلغة يونانية، فالطب مثلا: كان يدرس باليونانية حتى القرن الخامس ميلادي، وما كان يدرس باللاتينية أحيانا ليس إلا ترجمات لنصوص يونانية الأصل.

والواقع أن المثقف المغربي القديم كان يتقن اللغتين اللاتينية والإغريقية إلى درجة أن تداولهما معا في نفس المحاضرة كان أمراً عادياً لا يكون أية بلبلة لدى المستمع الذي يفهم ما يسمعه، ويذكر أن أبوليوس الماوردي، لما

كان أستاذا بجامعة قرطاج، كان يبدأ محاضرته بإحدى اللغتين المذكورتين وينهيها بالأخرى.[83]

كما كان أغلب طلبة قرطاج يزورون روما وأثينا أو هما معا قصد إتمام دراستهم، وقد دشن الإمبراطور سيفيروس في القرن الثاني ميلادي، مبادرة حميدة تتمثل في منح الطلبة المغربيين القدامى منحة دراسية لإتمام دراستهم بالمراكز العلمية ذات المكانة المرموقة في العالم القديم.[84]

وكانت الحياة الطلابية في قرطاج، كما كان يتذكرها الأسقف المسنّ أوغسطينوس، مزيجا متفاوتا من الإقبال بجّد وكدّ على الدراسة ومن الانهماك في التّرف الذي كانت توفرّه المسارح والملاعب وغيره من الملاهي.[85]

وهي قريبة من المدن الجامعية في عصرنا الحالي.

وفي هذا السياق ينبغي التنويه بالملك يوبا الثاني (52 ق.م-23م)، الذي جعل من عاصمته يول – كيساريا[86] (Iol. Césarée) مركزاً حضارياً وعلمياً مرموقاً ورغم نشأته الرومانية، إلا أنه كان كباقي معاصريه يميل إلى الثقافة الإغريقية، وأعتبر بعض الباحثين أن كيساريا هي أول مدينة مغاربية كمركز ثقافي متميز إن لم تكن الوحيدة التي

اهتمت بتدريس الفنون والآداب على الطريقة الإغريقية[87] منذ القرن الأول ق.م.

وكان التبادل العلمي والثقافي بين كيساريا وأثينا مزدهراً تبادلت خلاله الوفود العلمية والطلابية، كما كان الملك يوبا الثاني محل حفاوة من قبل الأثينيين، الذين أقاموا له تمثالا وضعوه أمام الخزانة الرسمية لمدينتهم، كما منحوه المواطنة تقديراً لمكانته الأدبية والفكرية.

وهذا ما جعل شرشال عاصمته تضاهي الإسكندرية في المكانة الثقافية، حيث وفد إليها الطلبة للاستفادة من المحاضرات التي يلقيها الأساتذة المستقدمون من بلاد الإغريق، وظل الإشعاع الثقافي الهيلينستي في كيساريا ساطعا مشرقا إلى آخر أيام بطليموس[88] الذي غدر به الإمبراطور الروماني كاليغولة[89] (Caligula) وأمر باغتياله سنة أربعون ميلادي وهو في ضيافة الإمبراطورية الرومانية.

وبذلك تراجع الدور العلمي الريادي لجامعة كيساريا للحد من التأثير الهيلينستي على بلدان المغرب القديم لتحلّ اللغة اللاتينية محل اللغة الإغريقية تدريجياً.[90]

وتظهر نتائج الاحتلال الروماني الذي عمل على تهديم الصرح الثقافي المغربي وأقام على أنقاضه الثقافة الرومانية محاولا القضاء على الهوية المغربية وبصماتها الحضارية.

وقد اهتم الرومان كثيراً بالخطابة خدمة لأهداف سياسية ولما لها من تأثير على الشعوب والجماهير، وقد كانت تتم في مجلس الشيوخ بإيطاليا وفي الولايات لتهدئة النفوس أو بعث الحماس فيها حسب ما تقتضيه أهدافها الاستعمارية.

وهكذا استفاد أصحابها من تشريفات و شهرة عظيمة ومن أبرز الخطباء اللاتين يمكن ذكر: أنيسيوس هورت (Ensius Hort).

والملاحظ أن الرومان حرموا القادة من الارتقاء إلى مراتب عليا مهما كانت كفاءتهم العسكرية إذا لم يتمتعوا بقوة التأثير في صفوف الجيش والمحيط.[91]

اعتنى المغاربة في هذه الفترة بدروس الفصاحة والخطابة.[92] ومما يفسر إقبالهم عليها ميلهم إلى مهنة المحاماة، وضرورة الإلمام بالعلوم القانونية في العهد الروماني، لما كانت عليه مادة الحقوق من أهمية بالغة. وكثيرا ما اختار الطلبة في بلاد المغرب، عند بلوغهم مرحلة الاختصاص،

مادّة الحقوق سواء لممارسة المحاماة أو القضاء، فكان على الحاكم المنتخب، في كل مدينة الإدلاء بالقانون (duovir jure dicundo) وطلب العون دوماً والمؤازرة من عالم القانون.[93]

خاتمة:

بعد هذا الاستعراض الموجز الذي أردت أن يكون نظرة فاحصة مبرزة لبعض جوانب التعليم التي لم تنل حقها من البحث والدراسة يمكن القول:

– حرصت العائلات المغربية على تعليم وتربية أبنائها، فاختاروا لهم معلمين أكفاء، وخصصوا لهم أماكن للعلم تمثلت في المعابد التي كانوا يتلقون فيها أسس التربية والتعليم، وهذا حسب النصوص التي تم العثور عليها والتي تشهد بانتشار القراءة والكتابة في المجتمع المغربي.

– عرف المغرب القديم التعليم بمراحله: الابتدائي والثانوي والعالي، وقد ظهر التعليم الابتدائي في روما وشمال أفريقيا في وقت واحد تقريبا أي خلال القرن السادس ق.م.

أما البدايات الحقيقية للتعليم الثانوي كانت منذ القرن الأول ق.م، كما عرفت قورينا التعليم العالي قبل روما، وأصبحت قرطاج منذ القرن الأول بعد الميلاد مركزا ثقافيا كبيرا يقصده طلبة التعليم العالي من كل الجهات، واعتبرت يول–كيساريا أول مدينة مغربية إن لم تكن الوحيدة التي اهتمت بتدريس الفنون والآداب على الطريقة الإغريقية منذ القرن الأول قبل الميلاد.

– إلى جانب هذه العواصم الثلاث قورين وقرطاج وكيساريا التي كانت مراكز للتعليم العالي، هناك باقي المدن المغربية التي كانت تشتمل على مدرسة أو مدارس تؤمن لتلاميذها التعليم بمراحه المختلفة، ولعبت دوراً أساسيا في تكوين أبناء بلاد المغرب القديم.

فالتحق بهذه المدارس أبناء الطبقة المتوسطة، أما أبناء الأثرياء فكانوا يتلقون تعليمهم في منازلهم عن طريق معلمين خاصين بهم، في حين بقي سكان الأرياف محرمون من مستويات المراحل العليا وقد يحضون بالمبادئ الدنيا منه وبالتالي كان التعليم في المغرب القديم خلال العهد الروماني يعكس طبقات المجتمع المدني.

– اعتمدت روما على السياسية التعليمية لدمج الشعوب الخاضعة لها حيث كان التعليم من أهم الأعمال التي تشرف عليها إدارة بلديات المدن، وكان هذا حكر على الفئات الاجتماعية، الحضرية المترومنة الغنية منها والمتوسطة.

وتدل النقوش على المكانة الاقتصادية والاجتماعية التي كان يتمتع بها المتعلم في العصر البونيقي وفي فترة الاحتلال الروماني.

– يبدو أن السياسة التعليمية حققت بعض النتائج حيث ظهر ببلاد المغرب الكثير من المفكرين والعلماء الذين كانت لهم مساهمات هامة في

الفكر الإنساني العالمي، في المجال الأدبي من كتابات مسرحية وفن الخطابة والشعر والقصص وفي المجال العلمي والفلسفي والتاريخي والديني.

الهوامش

[1] خليف يوسف الطراونة، أساسيات في التربية، ط1، دار الشروق للنشر والتوزيع، رام الله، 2004، ص ص 48.47.

[2] **الريطوريقا:** يقصد بها فن الخطابة يعتبر الأديب الروماني كيكرو (Cicero) من أهم رواد الريطوريقا القديمة، وكان له على المغرب القديم وقع كبير. دخلت الريطوريقا في مناهج التربية والتعليم بكل عواصم العالم القديم، واحتضنها رجال الفكر بشمال إفريقيا القديم وبرعوا فيها إلى درجة جعلت مونصو يقول عنهم:" **لقد ولد الغاربة ريطوريقيين**" ينظر: جميل حمداوي، الحضارة الأمازيغية أنثروبولوجيا الإنسان التاريخ، الكتابة، الديانات والثقافة، ط1، أفريقيا الشرق، المغرب، 2015، ص 303.

[3] عبد السلام بن ميس، مظاهر الفكر العقلاني في الثقافة الأمازيغية القديمة، ط2، الرباط، 2010، ص 32.

[4] الطاهر ذراع، العلاقات الحضارية القرطاجية النوميدية (814-146ق.م)، كتاب أنجز في إطار السنة العلمية بتونس (2009-2010)، ص 118.

[5] مادلين هورس ميادان، تاريخ قرطاج، ط1، تر: إبراهيم بالش، ط1، منشورات عويدات، بيروت، 1981، ص 67.

[6] فرانسوا ديكريه، قرطاجة أو أمبراطورية البحر، تر: عز الدين أحمد عزو، ط1، الأهالي للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، 1996، ص 144.

[7] المرجع نفسه، ص 144.

[8] فرانسو ديكريه، قرطاجة الحضارة والتاريخ، تر: يوسف شلب الشام، ط1، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، 1994، ص 111.

[9]الطاهر ذراع، المرجع السابق، ص. ص (119.118).

[10] محمد حسين فنطر، الفينيقيون بناة المتوسط، ط1، أليف – منشورات البحر الأبيض المتوسط– تونس، 1998، ص 83

[11] الطاهر ذراع، المرجع السابق، ص 119.

[12] محمد حسين فنطر، المرجع السابق، ص 83.

[13] وهي عادة نجدها عند العرب قبل الإسلام وقد كانوا يأتون الكعبة لرؤية المعلقات والابتهاج بها وحفظ ما دون فيها من روائع وأخبار. ينظر: الطاهر ذراع، المرجع السابق، ص 120.

[14] أندريه إيمار، جاتين أبوايه، روما و إمبراطورياتها، مج 2، عويدات للنشر، بيروت، 2003، ص 59.

[15]الطاهر ذراع، المرجع السابق، ص 118.

[16]محمد حسين فنطر، المرجع السابق، ص66.

[17] المرجع نفسه، ص 67.

[18] **قورينة:** تم تأسيسها في النصف الثاني للقرن السابع قبل الميلاد من قبل المعمرين الثيرانيين (اليونان) في منطقة خليج السيرت (Syrtes) بالقرب من طرابلس الحالية

تحاذيها إلى الجنوب منطقة فزان الحالية في الداخل، حيث واحات النخيل والرمال. ومن هذه الأخيرة تمر أقرب طريق نحو إفريقيا الوسطى من البحر المتوسط. ينظر: سالوستيوس، حرب يوغرطة، تر و تح: محمد العربي عقون، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر،2006 ، ص 43. للمزيد ينظر: فرنسوا شامو، الإغريق في برقة الأسطورة والتاريخ، تر: محمد عبد الكريم الوافي، ط1، منشورات جامعة قاريونس، بنغازي، 1990، ص 154.

[19] **أرسطيفوس القوريني:** هو فيلسوف ليبي من مواليد مدينة قورينة، وهي في أوج شهرتها أي في القرن الرابع ق.م (نحو 435-355م)، أسس المدرسة القورينية في الفلسفة الأخلاقية، وكان تلميذا لسقراط الأثيني بيد أنه سلك منهجا مختلفا عن معلمه، حيث بدأ يعلم الناس في قوريني أن غاية الحياة هي السعي إلى تحقيق اللذة، وذلك بفضل تكييف الظروف وتطويعها لكي تلائم الإنسان، ولكي تمكنه من السيطرة على نفسه، والتحكم فيها في السراء والضراء. ينظر: لطفي العربي، معجم أشهر الفلاسفة، ط1، دار شوقي للنشر،2004، ص 10 .

[20] شافية شارن، بلقاسم رحماني، محمد الحبيب بشاري، الاحتلال الاستيطاني وسياسة الرومنة، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر الجزائر:1954، 2007، ص 260.

[21] غابريال كامبس، في أصول بلاد البربر ماسينيسا أو بدايات التاريخ، تر و تح: محمد العربي عقون، المجلس الأعلى للغة العربية، الجزائر، 2010، ص 232.

[22] Yaun le Bohec, Histoire de L'Afrique Romaine, éd. Picard, Paris , 2005, P.212.

[23] شافية شارن، بلقاسم رحماني، محمد الحبيب، المرجع السابق، ص 260.

[24] اعتمد اليونان في سياستهم التعليمية على تثقيف الفكر وتحصيل المعارف، وتهذيب النفس وإرهاف المشاعر والوجدان عن طريق دراسة الموسيقى، كما يتضمن أيضا تنمية البدن والحفاظ على تناسق الجسم من خلال التدريب البدني، أما التعليم بالمفهوم الروماني فلا يعني سوى تحصيل العلوم والمعارف، ربما يرجع ذلك التباين عند كل من اليونان والرومان إلى طبيعة كل من الشعبين، فقد كانت نظرة اليونان للحياة نظرة جمالية وعقلية، بينما كانت نظرة الرومان للحياة عملية يقيمون الأشياء بمدى نفعها لحياتهم. ينظر: مصطفى محمد قنديل زايد، التربية والتعليم في الحضارة اليونانية والرومانية، ط1، مكتبة الأنجلوالمصرية، القاهرة، د ت، ص 05.

[25] Yaun le Bohec,op cit P. 212.

[26] Noshy, Arcesilaus III, Libyan in History, By University of Benghazi, 1986,P.77.

[27] **الأخلاق (Moral)**: علم الأخلاق هو النظر في أحكام القيم وفي المبادئ الأخلاقية، بينما تتعلق الأخلاق بالأفعال الصادرة عن الإنسان محمودة كانت أو مذمومة. وإذا عدنا إلى الجذر اليوناني لمصطلح أخلاق وجدناه يعني العرف أو الاستعمال الذائع أي العادات الأخلاقية. أما الجذر اللاتيني فهو مبني بدوره على الجذر اليوناني وهو يدل على ضرب من السلوك الأخلاقي المستنير.ينظر: سارة التونسي الزواري، المعجم الفلسفي النقدي، ط1، مطبعة السفير الفني، 2005، ص227.

[28] لقد كان من أهم الحوادث في تاريخ العلوم اليونانية في عصر بركليز (القرن الخامس ق.م) نهضة الطب القائم على العقل لا على الخرافة. ينظر: المرجع نفسه، ص 330.

[29] **المنطق:** هو العلم الذي يبحث في قوانين الفكر التي ترمي إلى تمييز الصواب من الخطأ، فينظم الاستدلال ويقود إلى اليقين. ويشير مؤرخو العلوم أن أرسطو أول من كتب عن المنطق بوصفه علم قائم بذاته، ثم ظهر في عصر شيشرون بمعنى الجدل إلى أن استعمله إسكندر الأفروديسي بمعنى المنطق وصار استعماله منتشرا عند الرواقيين وهو عند أرسطو العلم التحليلي أي ذلك الذي يحلل العلم إلى مبادئه وأصوله. ينظر: المرجع نفسه، ص 428.

[30] ماركوس توليوس كيكرو (Marcus- Tullius-Cicero) (أربينوم 106- فورمي 43ق.م) سياسي وأشهر خطيب روماني في عصره، تقلد الوظائف السياسية السامية، ترك أعمالاً عديدة وهو الذي طور فن الخطابة في اللغة اللاتينية. ينظر: أحمد عتمان، الأدب اللاتيني ودوره الحضاري، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، د ت، ص. ص (101- 102).

[31] عبد السلام بن ميس، المرجع السابق، ص 35.

[32] المرجع نفسه، ص ص (35- 36).

[33] مصطفى كمال عبد العليم، دراسات في تاريخ ليبيا القديم، المبطعة الأهلية، بنغازي، 1966، ص. ص (60- 61).

[34] مفتاح عبد الله، المسوري، المعين في تاريخ الفلسفة الأخلاقية الكيرينية (القورينية)، ط1، دار الرواد، طرابلس، 2012، ص 79.

[35] المرجع نفسه، ص 79.

[36] **أريتي (Aêté):** ولدت بقورينة سنة 400 ق.م وتوفيت بها سنة 340 ق.م تتلمذت في الفلسفة والأخلاق على يد والدها، وقامت بدورها بتعليم ابنها أرسطيفوس الأصغر، ولذا كني هذا الأخير بتلميذ أمه (Matro-didact)، خلفت أريتي والدها في رئاسة المدرسة الفلسفية القورينية بيد أن الفضل يعود إلى ابنها في تقنين، وتنظيم منظومة الفلسفة القورينية فيما بعد. ألفت أريتي نحو 40 كتابا، وكان لها أكثر من110 من التلاميذ والأنصار من الفلاسفة. للمزيد ينظر: المرجع نفسه، ص131.

[37] ظهر تيار فلسفي جديد هو فلسفة المتعة والسعادة أو الأبيقورية بمعنى أن فلسفة أبيقور قد ورثت وطورت الأفكار الجوهرية للمدرسة القورينية.

[38] كاليماخوس: (315– 240 ق.م) ولد بقورينة وتلقى تعليمه بها ورحل بعدها إلى أثينا للاستزادة من بحر الثقافة الإغريقية، كتب فهرست مفصل في مائة وعشرون مجلد ويعتبر أول كتاب علمي في تاريخ الأدب، نظم العديد من الأشعار في مختلف الأوزان السائدة في عصره ، وخلف العديد من الأعمال في مجال الأساطير والاجتماع والجغرافيا والتاريخ وتميز بأنه فقيه لغوي. ينظر: لطفي العربي، المرجع السابق، ص 115.

[39] كارنياديس: (214–129 ق.م) فيلسوف قوريني كان يعتقد بعدم وجود معيار مطلق للحقيقة، وتقبل المبدأ القائل بأن أي عمل صحيح إذا كان بالإمكان الدفاع عنه بالمنطق. أسس وتزعم مدرسة تسمى الأكاديمية الجديدة أو الثالثة من عام 155ق.م وحتى وفاته. ينظر: المرجع نفسه ، ص 102.

[40] أركيسيلاوس: (316_241ق.م) ولد في بيتاني في أيوليس، واصل تعليمه بأثينا على يد ثيوفراستون وكرانتور، يعتبر أن قوة الإقناع الفكري لا يجب أن تكون ملزمة، بقدر ما هي من خصائص الإقناع المتناقض، استعمل المنهج السقراطي في التعليم، وكانت تميز مناقشاته الفكاهة الحادة وخصوبة الأفكار. ينظر: سارة التونسي الزواري، المرجع السابق، ص 77.

[41] عبد السلام بن ميس،المرجع السابق، ص. ص (37- 38).

[42] المذهب الشكاني (Le scepticisme) : هو مذهب يرفض الإثبات أو النفي، وبالتالي الحكم على الأشياء، ولاسيما في الأمور المتعلقة بما بعد الطبيعة. وهي عموما موقف من يرفض التصديق بالأمور التي يسلم بها عادة، فيكتفي بمعاينة هذه الأمور دون إصدار أي حكم، رافضا إثبات أو نفي وجود الأشياء التي يحسها أو يتخيلها أو يتصورها. ينظر: جلال الدين سعيد، معجم المصطلحات والشواهد الفلسفية، ط1، دار الجنوب للنشر، تونس، 2004، ص 259.

[43] عبد السلام بن ميس، المرجع السابق، ص 38.

[44] سترابون (Strabon): هو جغرافي إغريقي ولد في حوالي سنة 58 ق.م في آسيا، وتوفي ما بين سنتي 21 – 25م، وصف جغرافية كل البلدان المعروفة في تلك الفترة، كما قدم دراسة اجتماعية تاريخية للشعوب التي تقطن تلك البلدان. ينظر: Dictionnaire de la langue française. 1993. Nouvelle édit. Hachette. P. 1214.

[45] عبد السلام بن ميس، المرجع السابق، ص. ص (39-40).

[46] Stéphane Gsell, H.A.A.N, T :I, librairie Hachette, Paris, 1913.1927 ,T: I.P.16.

[47] Boissier (G.), L'Afrique Romaine, promenades archéologiques en Algérie et en Tunisie, Hachette et Cie, Paris, 1895,P.101

[48] شافية شارن، بلقاسم رحماني، محمد الحبيب بشاري، المرجع السابق، ص. ص (260-261).

[49] وتعني كلمة الليتيراتور في قاموس اللغة اللاتينية من يعلم الحروف أو مبادئ القراءة والكتابة . ينظر: مصطفى محمد قنديل زايد، التعبير عن التعليم في الفن اليوناني والروماني، بحث مقدم لنيل درجة الدكتوراه في الآداب، جامعة طنطا، مصر، 1422هـ/2001م، ص8.

[50] أوغسطينوس، اعترافات القديس أوغسطينوس، نقلها إلى العربية: الخوري يوحنا الحلو، ط4، دار المشرق، بيروت، 1991، ص16.

[51] Yann le Bohec, Op- cit, P.P.(112-114).

[52] Marrou (H), ST. Augustin et l'afin de la culture antique, éditio Boccard Paris 1937 P.P. 112-114.)

[53] فيرجيليوس: هو ألمع شعراء الرومان، ولد بشمال ايطاليا سنة 70 ق.م، توفي برنديسبي في إقليم كلابريا على ضفة بحر الأدرياتيك، ودفن جثمانه في ضواحي نابولي.

[54] I bid, P.P.(255-256).

[55] عمار المحجوبي، ولاية إفريقيا من الاحتلال الروماني إلى نهاية العهد السويري (146 ق،م-235م)، مركز النشر الجامعي، تونس، 2001، ص 152.

[56] شارل أندري جوليان، تاريخ إفريقيا الشمالية، تعريب: محمد مزالي، البشير بن سلامة، د ط، ج1، الدار التونسية للنشر، 1969، ص 248.

[57] عبد السلام بوشارب، تبسة معالم ومآثر، المؤسسة الوطنية للاتصال والنشر والإشهار، 1996، ص10

[58] يجهل معنى كلمة هيكاتومبيلوس، لكنها في الغالب تسمية بربرية أطلقها عليها السكان المحليون ولما دخلها القائد القرطاجي هركليس (Héracule)، شبهها بمدينة طيبا الفرعونية فسماها تيبس (Thébis)، واختصرت مع الوقت وصارت تيفست (Theveste)، وظلت تعرف باسمها هذا حتى الفتح الإسلامي. ينظر, مها العيساوي، مدينة تبسة في العصور القديمة، مجلة التراث، العدد 9، 1997، ص. ص (30 - 31).

[59] المرجع نفسه، ص 31.

[60] عبد السلام بن ميس، المرجع السابق، ص 45.

[61] محمد البشير شنيتي، أضواء على تاريخ الجزائر القديم، دار الحكمة، الجزائر، 2003، ص 45.

[62] عبد السلام بن ميس، المرجع السابق، ص 46.

[63] Marrou(H), OP- cit, P.269.

[64] عبد السلام بن ميس، المرجع السابق، ص 46.

[65] **أرنبيوس الأكبر**: ولد سنة 260م وتوفي سنة 327م، عمل أستاذا للبيان في مقاطعة أفريقية، اعتنق الديانة المسيحية في كهولته ومن أهم كتبه في هذا المجال: " ضدا على الوثنيين". وقد عد أرنوبيوس في الثقافة المسيحية المتوسطية أنه من آباء الكنيسة لأنه كرس حياته لخدمة النصرانية. محمد الحبيب بشاري، الحياة الأدبية الرومانية ومساهمة الأفارقة في إنعاشها، مجلة عصور، مجلة علمية محكمة، علوم إنسانية تاريخ وحضارة، العدد: 20، منشورات مخبر البحث التاريخي (مصادر وتراجم)، جامعة وهران، الجزائر، جانفي–جوان 2013، ص 43.

[66] عمار المحجوبي، المرجع السابق، ص 152.

[67] Gsell (S), M'Daouruch, T2, fouilles exécutées par le service des monuments historiques, Carbonel (Alger) et de Bocard, Paris, 1914–1918 P.6.

[68] تريبوليتانيا تتشكل من المدن الثلاث: (سبراتا ولبتس ماكنا و أويا)، تم دمجها من قبل الرومان مع جزيرة كريت في مقاطعة واحدة ثم في عام (78 ق.م) ثم في عام (20 ق.م)، أصبحت مقاطعة سيناتورية لديها مجلس خاص مثل مقاطعة أفريقيا المجاورة لها من ناحية الغرب. ينظر:عبد السلام بن ميس، المرجع السابق، ص47.

[69] عبد اللطيف محمد البرغوثي، التايخ الليبي القديم من أقدم العصور حتى الفتح الإسلامي، ج1، ص 181، متاح على الرابط، تاريخ الرفع 2012/10/18.

[70] المرجع نفسه، ص 186.

[71] عبد السلام بن ميس، المرجع السابق، ص 49.

[72] **لوقيوس سبتيموس سفيروس (Lucuis Septimius Severus)** المشهور بلقب "الإمبراطور الأفريقي" ولد في ليبتسم ماغنا (لبدة حاليا) في الحادي عشر أبريل عام 146 ق.م، من عائلة ليبية أخذت الجنسية الرومانية (Romaniser) وتنتمي إلى طبقة الفرسان. ثم درس الفلسفة في أثينا والحقوق في روما، ولكنه لم يكن ضليعا في اللغة اللاتينية. مارس وظائف عليا في كل من أفريقيا وسردينيا وسوريا حيث تزوج فيها من امرأة سورية تدعى دومنا (Domna) ابنة كاهن مدينة حمص (Emissa) ثم عين قائدا للفيلق الإليري، وكان أقوى الفرق في الجيش الروماني، وهناك استمال جيشه فأعلنه امبراطورا عام 193م، فسار إلى روما بعد أن قضى على منافسيه في التاج، وهم: ديديوس جوليانوس (Didius Julianus) وبسكينوس نيجر (Pescennius Niger) وألبينوس (Albinus)، لم ينل سبتيموس القدر الذي يستحقه من اهتمام المؤرخين والدارسين، وخاصة المغاربة لأن المعظم لا يعرف أنه إمبراطور ليبي الأصل، حقق من الانجازات ما لم يحققه العديد من الأباطرة الرومان الآخرين، حيث انتهج سياسة المساواة بين الولايات التي كانت تعني نهاية تهميش البرابرة (Lepcis Magna) في 146م. ينظر: Dictionnaire Encyclopédique d Histoire Bordas 1978 P. 4136. للمزيد ينظر: ياسمين زهران، سبتيميوس سيفيروس، تر: محمد عمران أبو ميس، ط1، دار الفرجاني، بنغازي، 2016، ص 09.

[73] شارل أندري جوليان، المرجع السابق، ص 249.

[74] أحمد السليماني، تاريخ ملوك البربر في الجزائر القديمة، دار القصبة للنشر، الجزائر، 2007، ص 186.

[75] شافية شارن، بلقاسم رحماني، محمد الحبيب بشاري، المرجع السابق، ص 262.

[76] (M) Benabou, La Résistance Africaine à La Romanisation, éd, Maspero et L'Université de Paris-Sorbonne, paris , 1976 , P. 484.

[77] شارل أندري جوليان، المرجع السابق، ص 249.

[78] عمار المجحوبي، المرجع السابق، ص 152.

[79] النص كما ورد في المصدر: Carthago, provincae.... nostrae magistra venerabilis, Carthago, africae mrusa musa Caelistis ينظر: محمد العربي عقون، من التاريخ البلدي للجزائر القديمة في العهد الإمبراطوري الأول منذ استيلاء سيتيوس على سيرتا (46 ق.م) إلى أحداث القرن الرابع، دراسة في تاريخ وآثار ونظم سيرتا العتيقة، أطروحة دكتوراه العلوم في التاريخ القديم، تحت إشراف الأستاذ الدكتور محمد الصغير غانم، كلية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية، جامعة منتوري، قسنطينة، 2004-2005م ، ص350. .

[80] شاعر لاتيني (حوالي 60-140) له ديوان شعر في الهجاء، هاجم فيه سلبيات عصره.

[81] Juvénal, Satires, texte établi et traduit par H. clouard, Paris : Garnier, S.D, VII, P.P.(148-149).

[82] شارل أندري جوليان، المرجع السابق، ص 249.

[83] Cf, Monceausc, Les Africains, Etudes sur la littérature latine d'Afrique (les paiens) , Lecénce, Oudin et Cie, Editeurs, Paris, P.P.(37,62,63).

[84] عبد السلام بن ميس، المرجع السابق، ص 44.

[85] Marrou (H), Op-cit, P.258.

[86] شرشال الحالية، عاصمة موريتانيا القيصرية، اسمها القديم هو يول أضيف لها لقب الانتماء إلى يوليوس قيصر كيساريا أو قيصرية وهو لقب أضيف إلى مدن عديدة من قبل الرومان لتمجيده. ينظر: (S) Gsell , Cherchel antique col Caesara, Alger, sans date, P.P. (115-119).

[87] بن ميس عبد السلام، المرجع السابق، ص 33.

[88] بطليموس بن الملك يوبا الثاني ولد في القرن الخامس ق.م بمدينة قيصرية (شرشال) وكان يشارك أباه في الحكم أثناء حياته، لا سيما بعد وفاة كليوباترا سيليني، غير أنه يختلف عليه في حب حياة الرفاهية والميل إلى اللهو والكسل ، تم تدبير قتله لأن مجلس الشيوخ الروماني عزم على وضع حد للكيان المغاربي بالقضاء عليه. ينظر: E. flatter, L'Afrique septentrionale ancienne, R. Afr, 1877, P.P .(153,233).

[89] كاليغولة: هو ثالث إمبراطور روماني حكم في الفترة مابين 37 حتى اغتياله سنة 41م اسمه الحقيقي جايوس قيصر، اشتهر بطغيانه وأعماله الجنونية، له صلة قرابة من ناحية الأم بالإمبراطور نيرون الذي أحرق روما. ينظر: E.flatter, Op-Cit P.P. (154,232)

[90] عبد السلام بن ميس، المرجع السابق، ص 33.

[91] شافية شارن، بلقاسم رحماني، محمد الحبيب بشاري، المرجع السابق، ص 261.

[92] كان الخطيب في المقام الأول في أفريقية "مغذّية المحامين" على حد تعبير جوفينال، حيث كانت تغلب على الأدب والتاريخ والفلسفة النزعة الخطابية، وإذا لم تجد الخطابة متنفسا لها في الحياة العامة فإنها تتجلى في التمارين المدرسية وفي النوادي الخاصة. ينظر: شارل أندري جوليان، المرجع السابق، ص 249.

[93] Balout (L), Vingt année d'histoire algérienne, Paris, 1931, P. 10.